مقررات معهد

المنهج الدراسي الميسر

التَّعْلِيقُ المُفِيْدُ

على شرح

الأصول الثلاثة

لابن باز رحمه الله تعالى (ت١٤٢٠ هـ)

من كلام

الألباني - العثيمين - الوادعي - الفوزان - صالح آل الشيخ

رحمهم الله تعالى

تعليق

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستوى الأول إلى الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فهذه تعليقات على شرح الأصول الثلاثة[١] للإمام ابن باز رحمه الله تعالى جمعتها من كتب العلماء الأجلاء:

(العثيمين، الألباني، الوادعي، الفوزان، صالح آل الشيخ)[٢].

زيادة في الفائدة وخدمة للكتاب والله الموفق للصواب.

وحققت الأحاديث - كالعادة - على كتب العلامة الألباني، والعلامة الوادعي رحمهما الله تعالى.

وأسأل الله الكريم المتعال أن ينفع به الإسلام والمسلمين... آمين.

كتبه/ أبو عبد الله المصنعي

دار الحديث بمعبر.

عام ١٤٢٨هـ.

---

(١) والمتن مقابل علىٰ ثلاث مخطوطات: مخطوطة مكتبة عنيزة (أ)، ومخطوطة الشيخ عبد الله الشريان (ب)، والثالثة مخطوطة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن سلمان. خزانة طارق الحويطر (ج).
ولنا عليه شرح مسموع نسأل المولىٰ تعالىٰ أن ييسر بتفريغه وطبعه.

(٢) العثيمين من شرحه (ط. دار البصيرة)، وآل الشيخ (ملزمة)، والفوزان شرحه (ط. الرسالة)، والباقي من كتبهم.

متن الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

[وبه نستعينُ[١]]

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ تعالى[٢]- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي هذه السُّورةِ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ تعالى- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

---

(١) هذه الزيادة من (ج)، وفي (أ) جعل البسملة من الناسخ (بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ...) والأصح أن الشيخ افتتح الكتاب بالبسملة كما في المخطوطتين الأخريين، وفي مخطوطة رابعة كما في (ج).

(٢) في (أ) زيادة: [اعلم رحمك الله تعالى أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، ومن أهم ما عليك معرفته دينك الذي هو سبب لدخول الجنة، والجهل به سبب لدخول النار، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك...]

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ(١)؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

- الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية(٢).

- اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ(٣)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

---

(١) في (ب) و (ج) تقديم النبي على الملك.

(٢) ليس في المخطوطات تمام الآية.

(٣) في بعض النسخ المطبوعة زيادة [وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخلقهم لها] ولم أرها في المخطوطات.

[الأصل الأول : معرفة الله تعالى][١]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمَتِهِ[٢]، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

- فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

- وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن

---

(١) العنوان من عندي.

(٢) (بنعمته) كذا في المخطوطات الأربع، وفي المطبوع (بنعمه).

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

- وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا - كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

- فَمَنْ صَرَفَ [مِنْهَا شَيْئًا](١) لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

- وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

- ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾،

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

---

(١) في المخطوطات (فمن صرف من هذه الأشياء)، والمثبت من نسخة القاسم.

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾.

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾(١).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾(٢).

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

- وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

- وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

---

(١) في (ب) ذكر الآية كلها.

(٢) زاد في المطبوع قبلها [{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ}]، في المخطوطات التي لدي عدم ذكر سورة الفلق، وفي المطبوع ذكر الآية الأولىٰ من الناس فقط.

[الأصل الثاني: معرفة العبد دينه](١)

- الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ وَحْدهُ(٢).

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

«إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

---

(١) العنوان من عندي.

(٢) في (ب) (ج) زيادة بعد هذا (النفي: لا إله...)

وَدلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

- ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ - رُكْنٌ وَاحِدٌ -، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

---

(١) (ب) (ج) لم يكمل الآية واقتصر على أولها.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[1] الآية. وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ[3]، عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

---

(١) هذه الآية، وآية الطلاق ساقطة من النسخة (ب).

(٢) هذه الآية ليست في بعض المطبوع، وهي من المخطوطات الثلاث.

(٣) (م٨)، وقوله «جلوس» ليست من الحديث في مسلم.

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

[قَالَ: صَدَقْتَ][(١)].

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم».

(١) هذه الزيادة في المخطوطات وليست في مسلم.

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

- وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

- نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرْ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

- وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

- فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، [وَالأَذَانِ](١)، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، [وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ].

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

---

(١) سقطت من (أ) (ب).

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وَأَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

- وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

- وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

- وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

- وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا - مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ

عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ(١)، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾،

وَهَذَا مَعْنَى لا إله إلا اللهُ.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ [تَمَّتْ ثَلاثَةُ الأُصُولِ](٢).

****

(١) في (ب) و (ج) أن يكفروا بالطاغوت، والمثبت من (أ).

(٢) ما بين المعكوفين مثبت من المخطوطات الثلاث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١).

[وبِهِ نَسْتَعِينُ]

ش: هذه رسالة مهمة في العقيدة، ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، الإمام المشهور المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر رحمه الله وأكرم مثواه.

وقد كان رحمه الله يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم؛ لكونها قاعدة في العقيدة.

وكانت وفاته سنة ست ومائتين وألف من الهجرة، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، فقد عمر إحدىٰ وتسعين سنة، وقد كان عمرًا مليئًا بالخير، والدعوة إلىٰ الله، والتعليم، والإرشاد، والصبر علىٰ ذلك.

وقد أنقذ الله تعالىٰ به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة وانتشرت دعوته في غير الجزيرة من الشام ومصر والعراق والهند وغيرها، بسبب الدعاة الذين حملوا عنه العلم وانتقلوا إلىٰ تلك البلدان والدول، وبسبب المكاتيب والكتب التي انتشرت منه رحمه الله تعالىٰ ومن أتباعه وأنصاره والدعاة التابعين له في الدعوة إلىٰ الله.

****

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله، فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً بالرسول ﷺ فإنه كان يبدأ كتبه بالبسملة [ص١١].

اعْلَمْ[١] - رَحِمَكَ اللهُ[٢] - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

ش: هذه المسائل يجب أن يتعلمها المؤمن والمؤمنة صغارًا وكبارًا[٣].

١- فعلىٰ الإنسان أن يتعلم ويتصبر حتىٰ يكون علىٰ بينة، ويعرف دين الله الذي خلقه الله من أجله، وهذا العلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام[٤] بالأدلة[٥]؛ فهذا أول شيء.

أن يتبصر العبد من هو ربه؟ فيعرف أن ربه الخالق الذي خلقه، ورزقه، وأسدىٰ إليه النعم، وخلق من قبله، ويخلق من بعده، هو رب العالمين وأنه الإله الحق المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه أبدًا، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا جن، ولا إنس، ولا صنم، ولا غير ذلك، بل العبادة حق لله وحده، فهو المعبود بحق، وهو المستحق بأن يعبد، وهو رب العالمين، وهو ربك

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: «كلمة تشير إلىٰ الاهتمام بالموضوع». (ص١٣)

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وصنيع المؤلف يدل علىٰ عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له». (ص١٢).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظيم نفعها ...» (ص١٢).

(٤) الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الإسلام بالمعنىٰ الخاص يختص بما بُعث به محمد صلىٰ الله عليه وسلم فصار من اتبعه مسلمًا ومن خالفه ليس بمسلم ..» ا.هـ بتصرف (صـ ١٣).

(٥) قال الشيخ الفوزان غفر الله له: «قوله: (بالأدلة) لا بالتقليد وإنما الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة هذا هو العلم». (ص٢٣).

وخالقك وإلهك الحق سبحانه تعالىٰ(١).

فتعرف هذه المسألة الأولىٰ وهي أن تعرف ربك، ونبيك، ودينك بالأدلة. قال الله وقال الرسول، لا بالرأي، ولا بقول فلان، بل بالأدلة من الآيات والأحاديث، وذلك هو دين الإسلام الذي أنت مأمور بالدخول فيه، والالتزام به، وهو عبادة الله الذي قال فيها ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦] هذه العبادة هي الإسلام، وهي طاعة الله ورسوله، والقيام بأمر الله، وترك محارمه.

هذه هي العبادة التي خلق الناس لأجلها وأمر الله بها الناس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١]، يعني اعبدوه بطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، وإسلام الوجه له، وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالىٰ.

ومن ذلك: أن تعرف نبيك؛ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطلب الهاشمي القرشي المكي ثم المدني عليه الصلاة والسلام.

فتعرف أنه نبيك، وأن الله أرسله إليك بدين الحق، يعلمك ويرشدك، فتؤمن بأنه رسول الله حقًا، وأن الله أرسله للعالمين جميعًا من الجن والإنس، وأن الواجب اتباعه، والسير علىٰ منهاجه.

وسيأتي تفصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة.

****

(١) قال العلامة الوادعي رحمه الله تعالى: «والاهتمام بشأن العقيدة أمر مهم جدًا فالمسلم بدون عقيدة لا يستطيع أن يثبت أمام أعدائه ولا أن يتصرف تصرفًا إسلاميًا من أجل هذا فنبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم بدأ بالعقيدة وحياته كلها دعوة إلىٰ العقيدة والأحكام متخللة لذلك. قمع المعاند (ص١٦)

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

- المسألة الثانية: وجوب العمل بهذا الدين، أي: أن تعمل بهذا الدين؛ من صلاة، وصوم، وجهاد، وحج، وإيمان، وتقوىٰ؛ فتعمل بالإسلام لأنك مخلوق له، مخلوق لعبادة الله؛ فعليك أن تعلم وتعمل به فتعبد الله وحده، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه، وباليوم الأخر، وبالقدر خيره وشره، وتأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر، وتبر والديك، وتصل الأرحام، إلىٰ غير ذلك فتعمل بما أمرك الله به، وتنتهي عما نهاك الله عنه، وتترك المعاصي التي أنت منهي عنها، وتفعل الواجبات التي أنت مأمور بها.

- المسألة الثالثة: الدعوة إليه، أي: أن تدعو إلىٰ هذا الدين، فتنصح الناس بأن يستقيموا عليه، وترشدهم وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر.

هذه هي الدعوة إلىٰ دين الإسلام؛ فعلىٰ كل مسلم أن يدعو إلىٰ الله حسب طاقته وعلمه(١)، فكل واحد - رجل أو امرأة - عليه قسط من هذا الواجب(٢)، من التبليغ والدعوة والإرشاد والنصيحة، والنصيحة، وأن يدعو إلىٰ توحيد الله، وإلىٰ الصلاة والمحافظة عليها، وإلىٰ الزكاة وأدائها، وإلىٰ صوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة، وإلىٰ بر الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المعاصي كلها.

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى: «والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالخطابة وإلقاء المحاضرات ومنها حلقات العلم والتأليف...» (ص١٥).

(٢) قال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: «قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ وجوب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وأنها من الفرائض». الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الداعية (ص ١٩).

وعلىٰ هذا أجمع العلماء؛ للأدلة القاطعة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف:١٠٨]. راجع: منهج ابن القيم في الدعوة إلىٰ الله (١/ ٤٣- ٥٠).

- المسألة الرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه، أي: يصبر علىٰ الأذىٰ في هذه الأشياء، فقد يحصل للإنسان أذىٰ، قد يتعب من المدعو أو غيره، من أهله أو غيرهم، فالواجب الصبر واحتساب الأجر عند الله.

فالمؤمن يصبر علىٰ إيمانه بالله، ويصبر علىٰ العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، ويصبر في الدعوة إلىٰ الله، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلابد من الصبر في هذه الأمور كلها[1]؛ فالدين كله يحتاج إلىٰ صبر، صبر علىٰ دعوة الله وحده، وصبر علىٰ أن تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وصبر عن المحارم والسيئات؛ فتحذر من قربها، فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه. ولهذا قال تعالىٰ لرسوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة الطور:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:١٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة الزمر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، يعني: اصبروا علىٰ طاعة الله، وترك معصيته، واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

****

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: « الصبر أقسام ثلاثة :

١- صبر علىٰ الطاعة.

٢ - صبر علىٰ المعصية.

٣ - صبر علىٰ أقدار الله التي تسر والتي تؤلم». (ص ٦).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

- وهذا هو الدليل علىٰ هذه المسائل الأربعة، ففي هذه السورة العظيمة الحجة لهذه الأمور.

وهذا هو الدين كله؛ فالدين كله إيمان، وعمل، ودعوة، وصبر، إيمان بالحق، وعمل به، ودعوة إليه، وصبر علىٰ الأذىٰ فيه، والناس كلهم في خسارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية. أي: الذين استثناهم الله فجميع بني آدم في خسران وعلىٰ طريق الهلاك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر:٣]؛ فهؤلاء هم الرابحون، وهم السعداء.

وقد أقسم الله علىٰ هذا بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [سورة العصر:١]، وهو الصادق ﷻ وإن لم يقسم، ولكن أقسم لتأكيد المقام.

والله ﷻ يقسم بما شاء من خلقه؛ فلا أحد يتحجر عليه، فأقسم بالسماء ذات البروج، وأقسم بالسماء والطارق، وبالضحىٰ، وبالشمس وضحاها، وبالليل إذا يغشىٰ، وبالنازعات، وغير ذلك؛ لأن المخلوقات تدل علىٰ عظمته، وعلىٰ أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات التي تدل علىٰ وحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده.

وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه؛ فلا يقسم ولا يحلف إلا بالله، ولا يجوز له أن يحلف بالأنبياء، ولا بالأصنام، ولا بالصالحين، ولا بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بغيرها[1]، هذا هو

(١) قال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: - بعد ذكر حديث: «إذا حلفتم فقولوا ورب الكعبة» -: «فعلم من هذا أن الحلف بغير الله شرك أصغر إلا أن يبلغ به التعظيم إلىٰ أنه يعظمه مثل الله أو أعظم فيعتبر شركًا أكبر». فتاوىٰ العقيدة (ص٤٣).

الواجب علىٰ المسلم لقول النبي ﷺ: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك» أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(٢).

فالواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة الحذر من الحلف بغير الله، وأن تكون أيمانهم كلها بالله وحده ﷻ.

****

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «الحلف بغير الله شرك لفظي تحريمه من باب سد الذرائع، ولكن ينبغي أن يستثنىٰ منه من يحلف بولي يخشىٰ إذا حنث في حلفه به أن يصاب بمصيبة - أي: فهو شرك أكبر -». التقريب لعلوم الألباني (ص٤٦).

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢)، والترمذي (١٥٣٥) وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنه، وفي سنده انقطاع، وله طرق أخرىٰ، وصححه العلامة الألباني.

(٢) (خ ٦٦٤٦)، (م١٦٤٦/ ٣) عن ابن عمر رضي الله عنه.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تَعَالَىٰ فِي هذه السُّورةِ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»(١).

- الشافعي: هو الإمام المشهور، أحد العلماء الكبار، وأحد الأئمة الأربعة، وهو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، المولود سنة خمسين ومائة وتوفي سنة أربعة ومائتين.

يقول رحمه الله تعالىٰ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ» وفي رواية: «لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم». أي: لو نظروا فيها وتأملوا فيها لكانت كافية في إلزامهم بالحق، وقيامهم بما أوجب الله عليهم، وترك ما حرمه عليهم، لأن الله بيَّن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر هم الرابحون، ومن سواهم خاسر، وهذه حجة قائمة علىٰ وجوب التواصي، والتناصح، والإيمان والصبر، والصدق، وأنه لا طريق للسعادة والربح إلا بهذه الصفات الأربع إيمان صادق بالله ورسوله، وعمل صالح، وتواصٍ بالحق، وتواصٍ بالصبر.

****

(١) اللفظ المشهور هو ما ذكره ابن القيم في الداء والدواء وهو : «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم». ثم رأيته أيضًا في تفسير ابن كثير بلفظ: «لوسعتهم» مكان «لكفتهم». ولم أقف علىٰ سنده.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تَعَالَىٰ: «بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»(١).

- البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري من بخارىٰ في الشرق الأوسط، ولد سنة أربع وتسعين ومائة في آخر القرن الثاني، ومات سنة ست وخمسين ومائتين في وسط القرن الثالث، كان عمره اثنتين وستين سنة، وهو صاحب الصحيح، وله مؤلفات عظيمة نافعة ¬.

يقول: «باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد:١٩]؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل»؛ فالإنسان عليه أن يتعلم أولًا، ثم يعمل، فيتعلم دينه، ويعمل علىٰ بصيرة(٢)، والله أعلم.

****

(١) وجه الدلالة تقديم العلم علىٰ العمل وهو الاستغفار.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «ذكر الشيخ هذا لأن هذه الرسالة رسالة علم كلها شرح المسألة الأولىٰ وهي العلم فينتبه طالب العلم علىٰ أن العلم مهم إلىٰ الغاية حتىٰ أنه يقدم علىٰ القول والعمل». (ص٧).

(٢) قال الشيخ الفوزان رفع الله درجته: «لأن العمل لا ينفع إلا إذا كان مبنيًا علىٰ علم أما العمل المبني علىٰ جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل يكون وبالًا وضلالًا عليه يوم القيامة فلابد أن يقدم تعلم العلم قبل العمل». (ص ٣٧)

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّه يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ: الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا(١)، وَرَزَقَنَا(٢)، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ .

ش: هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه:

أن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه فلم يخلقهم هملاً، ولا سدىً، ولا عبثًا، لكنه خلقهم لأمر عظيم، ولحكمة عظيمة فيها سعادتهم، وفيها نجاتهم، وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦](٣)،

وهذه العبادة أمرهم الله بها في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وفي قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦]، وفي قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر:٢]، وفي قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥]، في آيات كثيرة أمرهم فيها بالعبادة،

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات:٩٦]، وقال سبحانه: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر:٦٢].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:١٧].

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «فمن أشرك مع الله إلهًا آخر فقد نقض الغاية العلمية من خلقه وإيجاده». (ص ١٠).

وهي توحيده جل وعلا، وتخصيصه بالعبادة؛ من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وصلاة، وصوم، وغير ذلك.

فهو المستحق للعبادة جل وعلا، دون كل ما سواه، ويدخل في ذلك فعل الأوامر، وترك النواهي، فأداء الأوامر التي أمرك الله بها ورسوله، وترك النواهي التي نهاك الله عنها ورسوله، كل هذا داخل في العبادة، وهذا هو الإسلام، وهو الدين، وهو الإيمان، وهو الهدىٰ؛ فلا تصل إلا لله، ولا تركع إلا له، ولا تذبح إلا له، ولا تدع إلا إياه، ولا تتوكل إلا عليه، إلىٰ غير هذا من العبادات.

أما الاستعانة بحاضر قادر فيما يقدر عليه فهذا ليس بعبادة كما قال سبحانه في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص:١٥]، فإن موسىٰ قادر علىٰ أن يغيثه.

أما دعاء الميت، ودعاء الغائب الذي لا يسمع كلامك، أو دعاء الصنم، أو الجن، أو الأشجار، ونحوها فهذا شرك المشركين(١)، وهو الشرك الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

---

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين : (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلىٰ الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة) ليس صحيحًا علىٰ إطلاقه؛ لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري؛ إذ فيه شرك صريح، ولعل مثل هذا القول الذي يهون من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلىٰ عدم البحث فيه وتحقيق الصواب في أمره مما يؤدي في نهاية المطاف إلىٰ استمرار المبتدعين في بدعهم واستفحال خطرها بينهم ...». التوسل (ص١٣٥).

وقال (ص ١٢٥): «الاستغاثة بغير الله تعالىٰ:

الضلالة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالىٰ في الشدائد والمصائب، حتىٰ إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم، ويطلب منهم من الحاجات المختلفة بلغات متباينة، فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا.

عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [سورة الزمر:٦٥].

فالله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملًا، بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

وأرسل إلينا رسولًا هو محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما تقدم، وأنزل عليه القرآن بذلك؛ لنستقيم علىٰ ما فيه من الهدىٰ، ونعمل بما فيه من الأوامر، وننتهي عما فيه من النواهي، وعلىٰ يد محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، جاء ليعلم الناس دينهم، فهو خاتم الأنبياء، وإمامهم، وأفضلهم.

فمن أطاع هذا الرسول واستقام علىٰ دينه فله الجنة، ومن عصىٰ هذا الرسول وحاد عن دينه فله النار، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: بأعمالكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ فهو مرسل عليه الصلاة والسلام، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ أي: أخذنا فرعون أخذًا وبيلاً في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار.

****

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ(١)؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

- هذه المسألة الثانية إنما هي تحقيق للمسألة الأولىٰ: أن تعلم أَنَّ الله لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ معه أحد في عبادته، كما أنه الخالق الرازق المحي المميت، الذي خلقك وأعطاك النعم، فهو سبحانه لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما؛ لأن العبادة حق الله وحده كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]؛ لأن الإشراك به هو أعظم الذنوب.

وقد جاء في الآيات الكثيرة، الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، فتجمع بين أمرين؛ فتؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وتؤمن بأنه سبحانه هو المستحق للعبادة من ذبح وصلاة وصوم وغير ذلك من العبادات، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨].

****

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لمحاربة الشرك والكفر والكفر والقضاء عليهما». (ص ٢٣).

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «ووجه الاستدلال أن (أحدًا) نكرة جاءت في سياق النفي، وقد تقرر أن النكرات في سياق النفي أو النهي فإنها تعم فيدخل في (أحدًا) الملائكة والأنبياء. (ص١٢).

- الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ(١)، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

- وهذه هي المسألة الثالثة، وهي من أهم الواجبات: أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنه لا يجوز له أن يوالي المشركين أو يحبهم، فكل من أطاع الله ورسوله، ووحد الله جل وعلا يلزمه أن يعادي الكفار، ويبغضهم في الله، ولا يجوز له موالاتهم ومحبتهم(٢)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ [سورة [سورة المجادلة:٢٢]، أي لا تجد يا محمد قومًا أهل إيمان صادق يوادون من حاد الله ورسوله.

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥١]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۚ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة:٤].

فلا بد من البغضاء والعداوة لأعداء الله، ومودة المؤمنين ومحبتهم، وهكذا المؤمن يحب أولياء الله، ويتعاون معهم علىٰ الخير، ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله، وإن دعاهم إلىٰ

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وأصل الموالاة في القلب وهي محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر فأصل الدين أن تحب التوحيد وأهله، وتبغض الكفر وأهله». (ص١٤).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الولاء والبراء أصل عظيم جاءت به النصوص الكثيرة ... فالواجب علىٰ المؤمن معاداة من حاد الله ولو كان أقرب قريب إليه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق». (ص ٢٤- ٢٥).

الله[١]، وإن أقرهم في بلاده وأخذ منهم الجزية كولي الأمر؛ لأن الرسول ﷺ أخذ الجزية من اليهود والنصارىٰ والمجوس[٢]، وأخذ الجزية منهم فيه عون للمسلمين لا محبة لهم.

وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام، ولا يقاتلون، بل يقرون مع بغضهم في الله، وعدم موالاتهم.

فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا مع القدرة، وهذا خاص بأهل الكتاب والمجوس، أما بقية الكفار فلا تقبل منهم الجزية، بل يقاتلون حتىٰ يدخلوا في الإسلام؛ كالوثنيين والشيوعيين وغيرهم من أصناف الكفرة مع القدرة علىٰ ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة:٤١]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟

---

(١) إنك لتعجب من قول بعض الناس: «إن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حض علىٰ مصافحتهم ومصادقتهم ... إلخ» كما في كتاب: الإخوان أحداث صنعت التاريخ (١/ ٤٠٩ - ٤١٠).

سئل العلامة ابن باز عن هذه المقالة فأجاب: «هذه مقالة خبيثة، اليهود من أعدىٰ الناس للمؤمنين، هم من شر الناس ... هذه المقالة مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة ... إلخ». راجع كتاب: العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم (٧٩-٨٤).

فأين الولاء والبراء لدىٰ هؤلاء القوم الذين يتظاهرون بالتباكي علىٰ الإسلام والمسلمين؟؟!، ولو قرأت كتاب (الولاء والبراء عند الاخوان المسلمين) لهالك الأمر، سلمنا الله تعالىٰ وإياكم من الضلال - آمين.

(٢) أما أخذها من الكتابيين فلقوله تعالىٰ: (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وأما أخذها من المجوس فلحديث عبد الرحمن بن عوف في البخاري (٣١٥٦، ٣١٥٧)، وفي أخذها من غيرهم خلاف.

سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٥] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

ومراده سبحانه مع القدرة علىٰ ذلك؛ لقوله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، وقوله سبحانه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن:١٦] الآية، ولأنه ﷺ لم يقاتل المشركين حتىٰ قوي علىٰ ذلك.

ثم قال تعالىٰ في آخر الآية: ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [سورة المجادلة:٢٢]، أي: قواهم بقوة منه.

****

- اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ(١). وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَىٰ «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ(٢).

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

ش: قال رحمه الله تعالىٰ: «اعلم أرشدك الله لطاعته»، جمع رحمه الله تعالىٰ بين التعليم والدعاء(٣).

«الحنيفية ملة إبراهيم»: وهي أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وهي التي قال الله فيها لنبيه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة النحل:١٢٣]، فالحنيفية هي الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه، والحنيف هو: الذي أقبل علىٰ الله وأعرض عما سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم وأتباعه وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

---

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى: «أمر مهم جدًا أن نخلّص العبادة من الدنس الذي يلوثها ومن أقبح ذلك وأعظمه ألا وهو الشرك بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء:٤٨]». قمع المعاند (ص١١).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «يعني أن التوحيد من معنىٰ العبادة وإلا فقد سبق لك معنىٰ العبادة وأنها أعم من مجرد التوحيد». (ص٤٦).

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وفيه تلطف منه رحمه الله حيث دعا للمتعلمين وهذا هو هو الذي ينبغي أن يكون مع المتعلمين لأن التعامل والتلطف معهم بأحسن ما يجد المعلم يجعل قلب المتعلم قابلًا للعلم منخفضًا له مقبلًا عليه». (ص١٧).

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا»، فأمرهم بالتوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم وصومهم ودعائهم وخوفهم ورجائهم وذبحهم ونذرهم وغير ذلك من أنواع العبادة. كله لله كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر:٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١].

هذه العبادة هي التي خلق لها الناس، خلق لها الثقلين وهي توحيد الله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، يعني: يوحدوني في العبادة ، ويخصوني بها، بفعل الأوامر وترك النواهي، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

«وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ»: وَهُوَ إفراد الله بالعبادة، فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا، ولا نبيًّا، ولا ملكًا، ولا حجرًا، ولا جنيًّا، ولا غير ذلك(١).

«الشرك دعوة غيره معه»(٢)، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥]، وفي الصحيحين(٣) أن النبي ﷺ سئل أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك».

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « وهناك تعريف للتوحيد أعم، وهو: إفراد الله تعالىٰ بما يختص به». (ص٤٧).

(٢) قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «المشرك هو: كل من أشرك مع الله شيئًا في ذاته أو في صفاته أو في عبادته». الصحيحة (٤/ ٨٧).

(٣) (خ٤٤٧٧)، (م٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فبيَّن ﷺ أن الشرك أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلىٰ يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله...» الحديث متفق عليه(١).

فالتوحيد: إفراد الله بالعبادة(٢).

والشرك: هو دعوة غير الله مع الله، تدعوه، أو تخافه، أو ترجوه، أو تذبح له، أو تنذر له، أو غير ذلك من أنواع العبادة.

هذا الشرك الأكبر سواء كان المدعو نبيًّا، أو جنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، فـ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥].

فأعظم مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ الله بالعبادة، وأعظم ما نهىٰ الله عنه هو الشرك بالله، كما تقدم.

ولهذا أكثر ﷻ في القرآن من الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

****

---

(١) (خ٤٦٥٤)، (م٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «ومراد الشيخ رحمه الله تعالىٰ: التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه؛ لأنه الذي حصل به الإخلال في أقوامهم». (ص٤٧).

[الأصل الأول : معرفة الله تعالى]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

-هذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله: «من ربك؟»، و«ما دينك؟» و«من نبيك؟»، وهي التي يسأل عنها العبد في قبره(١).

قوله (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟...): فإذا سأل سائل فقال: «مَنْ رَبُّكَ؟»

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ،

هذا رب الجميع كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢].

والعالمون: جميع المخلوقات كلهم عالمون - الجن والإنس والبهائم والجبال والأشجار - كلها عالم. قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

---

(١) كما في مسلم (٢٨٧١) عن البراء رضي الله عنه، وعن أنس رضي الله عنها في الصحيحين (خ ١٣٧٤)، (م ٢٨٧٠)، وعن أسماء رضي الله عنها أيضًا (خ١٠٥٣)، (م٩٠٥)، وجاء في حديث البراء الطويل في السنن والمسند وغيرها.

فهو رب الجميع له الخلق وله الأمر وهو المستحق بأن يعبد، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١] الآية.

قوله: «وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]» يعني: الثناء كله لله، والعبادة من الثناء، ومن الحمد.

«وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ» من الجن والإنس والحيوانات والجبال، كلها عوالم.

«وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ» الذي خلقه الله وأوجده وأوجب عليه طاعته.

فعلىٰ جميع العالمين من المكلفين من الجن والإنس أن يطيعوا الله ورسوله ويوحدوه جل وعلا.

وهكذا الملائكة عليهم أن يعبدوا الله وحده، ولهذا قال تعالىٰ عن الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٧-٢٨].

****

- فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ(١).

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

- إذا قيل لك أيها المسلم: بِمَ عرفت ربك الذي أنت تعبده؟

«فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ»: أي: بآياته الكثيرة(٢)، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل علىٰ أنه الرب العظيم، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد، وأنه الذي يخلق ما يشاء، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر، بيده كل شيء ﷻ؛ فهو المستحق بأن نعبده بطاعته، ودعائه، واستغاثته، وسائر أعمالنا وعباداتنا؛ لأن الله خلقنا لهذا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «فرق الشيخ بين الآيات والمخلوقات؛ لأن الآية هي البينة الواضحة، والليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه في السماوات والأرض، لأنها متغيرة وتذهب وتجيء وأما السماء والأرض فهو يصبح وهو يراهما فقد ألف عليهما، فإلفه - أي العبد - يحجب عنه كونها آيات». (ص٤٣).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الآيات نوعان : كونية، وشرعية؛ فالكونية هي: المخلوقة، والشرعية هي: الوحي الذي أنزله الله علىٰ رسله..». (ص٣٣).

وهذه العبادة هي توحيده، وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولًا وعملًا.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [سورة فصلت:٣٧]: كل هذه تدل علىٰ أنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم.

يأتي الليل بظلامه، ويذهب النهار بضيائه، ثم يجيء النهار، ويذهب الليل، وهذه الشمس تطلع علىٰ الناس في الدنيا كلها، وينتفعون بها، وهذا القمر كذلك وغير هذه من الآيات العظيمة؛ كالأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وحيوانات، وهذه السموات التي يراها الناس، كلها من آياته الدالة علىٰ عظمته وأنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق للعبادة ولهذا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت:٣٧]، يعني: لا تعبدوا هذه المخلوقات، بل اعبدوا الذي خلقها وأوجدها ﷻ، فهو المستحق بأن يذل له العبد ويخضع له، ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه i؛ تعظيمًا وتقديسًا له، وخوفًا منه، ورغبة فيما عنده.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤] يعني: إن ربكم أيها العباد من الجن والإنس هو الله تعالىٰ. و﴿رَبَّكُمُ﴾ يعني: خالقكم، وهو معبودكم الحق وحده لا شريك له.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، أي: ثم ارتفع علىٰ العرش، وعلا فوقه ﷻ، فعلمه في كل مكان وهو فوق العرش، فوق جميع المخلوقات، والعرش سقف المخلوقات وهو أعلىٰ المخلوقات، والله فوقه جل وعلا.

استوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته؛ قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٤].

وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ، أي: يغطي هذا بهذا، وهذا بهذا.

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، وكل واحد يطلب الآخر، إذا انتهىٰ هذا دخل هذا، وهكذا، حتىٰ تقوم الساعة. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، أي: وخلق الشمس والقمر ﴿وَٱلنُّجُومَ﴾ خلقها ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، ومطيعات مذللات لأمره سبحانه.

ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، فالخلق له، والأمر له، هو الخلاق الذي لا يخالف أمره الكوني الذي هو نافذ في الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس:٨٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [سورة القمر:٥٠]؛ فأمر الله الكوني القدري لا راد له ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

فـ﴿تَبَارَكَ﴾ يعني: بلغ في البركة النهاية، وهي لا تصلح إلا لله؛ فلا يقال للعبد: تباركت يا فلان، هذا لا يصلح، وإنما هو خاص بالله كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك:١]، وإنما يقال للمخلوق: بارك الله في فلان، أو فلان مبارك، أما «تباركت» فإنها لا تصلح إلا لله وحده.

****

- وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ(١)؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله تَعَالَىٰ(٢): «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ» .

- والرب هو المعبود، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: المخلوقات كلها من الجن، والإنس، والسماء، والأرض، وهو ربها ﷻ، وهو رب الجميع، وخالق الجميع، وخالق الجميع جل وعلا.

قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١] خلق الجميع الذين قبلنا، والذين بعدنا، من آدم وما قبله، وما بعده.

ثم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ الآية، فهو خلق الجميع ليتقوه ويعبدوه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ثم بين سبحانه بعض أفعاله فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فجعل الأرض فراشًا للناس، ومهادًا لهم، عليها يسكنون، وعليها يبنون ، وعليها ينامون، وعليها يمشون، وأرساها بالجبال.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فجعلها بناءً وسقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون، وزينها بالنجوم والشمس والقمر.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «أي هو الذي يستحق أن يعبد». (ص٣٥).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي القرشي الدمشقي، الحافظ المشهور، وصاحب التفسير والتاريخ، من تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية، توفي سنة (٧٧٤ هـ)». (ص٣٧).

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: من السحاب، ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ أنواع الأرزاق في كل مكان، ويحيي الله به الأرض بعد موتها.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أشباهًا ونظراء تعبدونها معه، لا صنمًا، ولا جنًّا، ولا ملكًا، ولا غير ذلك؛ فالعبادة حق الله وحده، ليس له نديد، ولا نظير، ولا مثيل، بل هو الإله الحق.

وكان المشركون يتخذون له الأنداد والنظائر والأمثال من الأصنام، والجن، والملائكة، ويعبدونهم من دون الله، ويستغيثون بهم؛ فأنكر الله عليهم ذلك، وبيّن أن هذه المخلوقات ليس لها حق في العبادة، ولا قدرة لها علىٰ شيء إلا بإذنه سبحانه وتقديره.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسيره: «**الخالق لهذه الأشياء**» من سماء، وأرض، وثمار، وأشجار، ومطر، وغير ذلك «**هو المستحق للعبادة**» سبحانه وتعالىٰ، وأن يطاع؛ لأنه رب الجميع، وخالق الجميع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣].

****

- وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا - كُلُّهَا للهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

- العبادة أنواع: فمنها الإسلام بأركانه. فكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة وصوم وغير ذلك، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف والمحبة والرجاء إلىٰ غير ذلك. فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة بل هو أعلىٰ أنواع العبادة وأعظمها.

فالواجب علىٰ كل مكلف إخلاص العبادة لله وحده. فلا يدعو مع الله الأنبياءَ، ولا الأولياءَ، ولا الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا النجوم؛ لأن العبادة حق لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: «يجب أن تكون هذه المساجد موطنًا لعبادة الله وحده، ولا يحدث يحدث فيها شيء لغير الله؛ فلا تبنىٰ فيها القبور والأضرحة، فالمساجد يجب أن تطهر من آثار الشرك والوثنية ... وقوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ لا تستغيثوا بأحد مع الله، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صنم، ولا وثن، ولا قبر، ولا شيخ، ولا ولي، ولا حي، ولا ميت، كائنًا من كان» (ص٥٧ - ٥٩).

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «القبر والمسجد لا يجتمعان في دين الإسلام، وإن اجتماعهما معًا ينافي إخلاص التوحيد والعبادة لله ، هذا الإخلاص الذي من أجل تحقيقه تبنىٰ المساجد كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ لِلَّهِ [سورة الجن:١٨]». تحذير الساجد (ص٩) ط. المعارف.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «يجب علىٰ المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي إلىٰ الشرك مثل بناء المساجد علىٰ القبور». (تحذير الساجد ص١٦١).

[سورة الفاتحة:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة يونس:١٠٦]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [سورة فاطر:١٣-١٤].

فسمىٰ سبحانه دعاءهم شركًا.

فالواجب علىٰ جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده، رجاء، وخوفًا، واستعانة، واستغاثة، وذبحًا، ونذرًا، وخشية لله، وصلاة، وصومًا، إلىٰ غير ذلك، كله لله وحده؛ فمن تقرب لغير الله من ولي، أو نبي، أو صنم، أو شجر، أو حجر، بالدعاء، أو بالذبح، أو بالنذر، أو بالصلاة، أو بالصوم، ونحو ذلك؛ فهو مشرك كافر(١)، أشرك بالله، وعبد معه سواه، كفعل المشركين الأولين: من عباد القبور، وعباد الأشجار، والأحجار، والأصنام، ولهذا قال ﷻ: وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [سورة المائدة:٧٢]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة الزمر:٦٥-٦٦].

---

(١) قال شيخنا الوادعي رحمه الله تعالى: «الذي يدعو الأموات لرجاء نفع، أو دفع ضر، بُيِّن له أن هذا شرك كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧] ... فإن أصر علىٰ دعاء غير الله تعالىٰ فهو مشرك حلال الدم والمال ...».
فتاوىٰ العقيدة (ص٣٦).

- فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .

- فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله، ومن صرف منها شيئًا لغير الله؛ من صنم، أو شجر، أو حجر، أو قبر؛ فهو مشرك بالله؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، ولغيرها من الآيات السابقات.

وهذا دليل علىٰ ما تقدم.

****

- وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(١). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

- وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»، وفي لفظ آخر: «الدعاء هو العبادة»(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر:٦٠]؛ فسمىٰ الدعاء عبادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: عن دعائي.

فالدعاء هو: أن يضرع إلىٰ الله يدعوه، ويسأله النجاة، ويسأله الرزق، كل هذا عبادة، فإذا صرفها للصنم أو للشجر أو للحجر أو لميت، صار مشركًا بالله ﷻ؛ فيجب الحذر من الشرك كله، دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة لله وحده.

لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به في الشيء المقدور عليه، لا بأس به ولا يعتبر داخلًا في الشرك فلو قلت لأخيك الحاضر: يا عبد الله! أعني علىٰ قطع هذه الشجرة، أو علىٰ حفر هذه البئر؛ فلا بأس بذلك، كما قال سبحانه في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص:١٥] الآية.

استغاثه الإسرائيلي علىٰ القطبي؛ لأن موسىٰ قادر علىٰ إغاثته، يتكلم ويسمع.

أما إذا اعتمد علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله حاضرًا أو غائبًا أو ميتًا، واعتقد أنه ينفع

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس رضي الله عنه، وسنده ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني والشيخ الوادعي.

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وسنده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

من دعاه أو يضر لا بالأسباب الحسية فهذا من الشرك بالله.

كما قال تعالىٰ عنهم أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

فيظنون أنهم يستطيعون بعبادتهم إياهم أن يشفعوا لهم عند الله في حصول مطالبهم أو أنهم يقربونهم إلىٰ الله زلفىٰ.

كما قال الله سبحانه عنهم في الآية الأخرىٰ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]. وهذا من جهلهم، وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه.

والله سبحانه له الشفاعة جميعًا، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء؛ فلا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يرضىٰ الله عمله، ولا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه. كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه.

وهو سبحانه لا يرضىٰ بالشفاعة إلا لأهل التوحيد، كما صح عنه ﷺ أنه قال لما سأله أبو هريرة قائلًا: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، أخرجه البخاري في صحيحه(١).

ولا تكون الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان.

****

(١) (خ٩٩ / ٦٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

- ومن ذلك: الخوف، وهو أقسام ثلاثة:

الأول: خوف السر(١)، وهذا خاص بالله؛ لأنه القادر علىٰ كل شيء، وهو الذي يُخاف ويُخشىٰ. كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة التوبة:١٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

فالواجب خشية الله وخوفه؛ لأنه مصرف القلوب ومقلبها، والقادر علىٰ كل شيء، وهو الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع، فالواجب تخصيصه بالخوف، وألا يخاف هذا الخوف إلا الله في كل الأمور.

ولكن خوف السر يختص به سبحانه، وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس؛ ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة علىٰ التصرف في الكون مع الله جل وعلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة علىٰ العطاء والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسية.

الثاني: خوف الأسباب الحسية، كما قال تعالىٰ في قصة أحد لما قيل للنبي ﷺ إن المشركين قد جمعوا لكم وسيرجعون إليكم، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، فالشيطان يخوف الناس من أوليائه، ويعظمهم في صدور الناس حتىٰ يخافوهم، والله يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، بل اعتمدوا عليّ، وأعدوا العدة ولا

(١) سيأتي قريبًا توضيحه .

تبالوا بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

وهذا الخوف الحسي لا بأس به، لكن الخوف القلبي خوف السر هذا هو المنهي عنه، أما الخوف الحسي، مثل أن يخاف من اللص أو السارق أو العدو، فيعد العدة من السلاح اللازم كل هذا لابد منه؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [سورة النساء:٧١]، وقال سبحانه في قصة موسىٰ لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص:٢١].

فإن هذا الخوف خوف حسي لا بأس به، لكن لا يجوز خوف العدو خوفًا يمنع من جهاده، ونصر الحق، وإنما يحمله هذا الخوف علىٰ الإعداد للعدو، وأخذ الحذر.

الثالث: الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان، وهذا لا حرج فيه، مثل خوف الإنسان الحية والعقرب والسبع، فيتباعد عنها ويقتلها، ويتباعد عن مظنة السباع حتىٰ لا يتأذىٰ بها. هذا أمر لا بد منه، والله جبل الناس علىٰ الخوف مما يؤذي حتىٰ يتحرز منه، يخاف البرد فيلبس الثياب الغليظة، ويخاف من الجوع فيأكل، ويخاف العطش فيشرب، هذه أمور طبيعية لا بأس بها.

****

- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

- وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

- وهكذا الرجاء عبادة لله فيرجو الله ويحسن به الظن[1]، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، فالرغبة إليه، ورجاء ما عنده، عبادة له ﷻ.

قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

فالرغب: الرجاء، والرهب: الخوف، وكلاهما عبادة.

وعلىٰ العبد أن يحسن ظنه بربه، ويعمل بالأسباب الشرعية.

وإن الظن الحسن مع الأخذ بالأسباب يعود علىٰ العبد بالخير، وبالرحمة، وبدخول الجنة، وبمغفرة الذنوب.

- وهكذا التوكل عبادة، وهو: التفويض إلىٰ الله، والاعتماد عليه في كل الأمور مع الأخذ بالأسباب، فتعتمد علىٰ الله في السلامة من الشر، والعافية من الفتن، وحصول الرزق، وفي دخول الجنة، والنجاة من النار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣]، يعني كافيه.

---

(١) قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: «الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله , وصرفه لغير الله تعالىٰ شرك». (ص٤١).

- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾. وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾. وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

- وهكذا الرغبة والرهبة والخشية من الله[1] كل هذه عبادات، قال تعالىٰ عن الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، يعني خائفين يخشون الله، ويخشعون لعظمته أي: يذلون.

- وهكذا الإنابة عبادة[2]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [سورة الزمر:٥٤].

والإنابة معناها: الرجوع إلىٰ الله، والتوبة إليه، والاستقامة علىٰ طاعته، فهذه عبادة لله، يجب علىٰ الناس أن ينيبوا إلىٰ الله، ويرجعوا إليه، ويتوبوا إليه، ويستقيموا علىٰ طاعته.

****

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الرغبة: محبة الوصول إلىٰ الشيء المحبوب.

والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف منه.

والخشوع: الذل لعظمة الله تعالىٰ بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

والخشية: هي الخوف المبني علىٰ العلم بعظمة الله تعالىٰ وكمال سلطانه». (ص٤٢ - ٤٣).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الإنابة: الرجوع إلىٰ الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته». (ص٤٣).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ(١): قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»(٢).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ(٣): قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣)﴾.

- وهكذا الاستعانة عبادة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]. وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله». فيستعين العبد بالله فتقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك، اللهم أعني علىٰ طاعتك، اللهم أعني علىٰ كل خير، إلىٰ غير هذا، تستعين بالله في كل المهمات.

- وهكذا الاستعاذة عبادة؛ أن تستعيذ بالله من الشرور، وتلجأ إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق:١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس:١].

فالاستعاذة بالله من الشيطان، ومن كل مؤذ، ومن كل عدو، أمر مأمور به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠].

****

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الاستعانة بالله المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه سبحانه». (ص٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو حسن وصححه الشيخان الألباني في السنن والوادعي في جامعه (١/ ٣١) .

(٣) قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى: «وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به تعالىٰ». (ص٤٥).

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

- وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

- وهكذا الاستغاثة عبادة؛ أن تستغيث بالله في الشدائد من عدو، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضر(٢)، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩].

- وهكذا الذبح عبادة(٣)؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢].

****

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) قال شيخنا رحمه الله تعالى فيمن يشرك في الاستغاثة: «إذا كان يعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله فنعامله علىٰ أنه مشرك». فتاوىٰ العقيدة (ص٣٥).

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «إراقة الدم لا يكون إلا بتعلق القلب، فإذا أراق الدم لله عز وجل تعلق القلب بالله، فالذبح عبادة ظاهرة، يتبعها عبادة باطنة قلبية فمن ذبح لغير الله فصار شركه من جهتين». (ص٣٨).

وقال شيخنا رحمه الله تعالى: «الذبح للمنصد (الهَجَر) قريب من الشرك إن لم يبلغه، وأما الذبح عند القبور فهذا شرك». فتاوىٰ العقيدة (ص٦٥).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في (الهَجَر): «لا تجوز لوجوه: أولها: أنه من سنة الجاهلية ... وقد قال جماعة من العلماء: إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز، بل هو في الجملة من الشرك ...» ا.هـ المراد.

- وَدَلِيلُ النَّذْرِ[١]: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

- وهكذا النذر عبادة؛ قال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [سورة الإنسان:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [سورة البقرة:٢٧٠]، الآية.

وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[٢].

فالنذر عبادة وطاعة لله، إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء، والنذر مكروه؛ لأن فيه التزامًا؛ وفيه مشقة، ولهذا نهىٰ النبي ﷺ عن النذر وقال: «إن النذر لا يأتي بخير»[٣]، ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء؛ لقول الرسول ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

فإذا نذر عبادة؛ من صلاة، أو صوم، أو غيرهما، لزمه الوفاء؛ لما تقدم.

****

---

(١) والنذر: أن يلزم المسلم نفسه بعبادة أو مباح لم يلزم بأصل الشرع.

(٢) (خ٦٧٠٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) (خ٦٦٩٣)، (م١٦٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

[الأصل الثاني: معرفة العبد دينه]

- الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ(١).

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

«إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «البراءة تشمل الخلوص من الشرك وزيادة، والبراءة أدل علىٰ المقصود. وأصلها: البغض للشرك في القلب والبغض لأهله، ويتبع بغضهم معاداتهم وتكفيرهم ومقاتلتهم، وهذا هو معنىٰ الكفر بالطاغوت». (ص١٣، ٤٢- ٤٣).

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ(١).

- هذا هو الأصل الثاني، وهو دين الإسلام، وهو ثلاث مراتب بينها الرسول ﷺ، فأولها الإسلام وهو: الإخلاص لله وحده، يعني: الاستسلام لله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله، فإذا فعل ذلك فقد أسلم يعني: انقاد وذل وخضع لله وحده بالعبادة دون كل ما سواه، وتبرأ من الشرك وأهله.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

---

(١) هذا تفسير بمقتضىٰ الشهادة ، وبعض أهل العلم يستعمله، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالىٰ: معنىٰ شهادة "أن محمداً رسول الله" هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلىٰ جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] ولا عبادة لله تعالىٰ إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد صلىٰ الله عليه وسلم كما

قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١]

ومقتضىٰ هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهىٰ وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضىٰ هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهىٰ وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضىٰ هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو صلىٰ الله عليه وسلم عبد لا يعبد ورسول لا يكذب

والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من الشرك وأهله، وإنكار ذلك، واعتقاد بطلانه.

وهناك مرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، وكلها داخلة في دين الإسلام، الدين الذي شرعه الله لعباده وأرسل به الرسل جميعًا.

ومرتبة الإسلام تشمل الأعمال الظاهرة.

وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في قوله: «بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

فأول أركان الإسلام: شهادة أن لا اله إلا الله، وبها يدخل العبد في الإسلام، فيشهد أن لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله(٢).

وهي نفي واثبات، فـ«لا إله» نفي، و«إلا الله» إثبات، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة:٥] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [سورة الحج:٦٢].

أما قولها بدون العمل بها، فلا تنفع كأن يقول: لا اله إلا الله، ولا يخص الله بالعبادة فإن شهادته لا تنفع، كالمنافقين فإنهم يقولونها ولا يعتقدونها؛ فهم في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) (خ ٨)، (م ١٦/ ٢١) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) ومن هنا تعلم خطأ من فسرها بقوله: (لا حاكمية إلا الله) كسيد قطب، وخطأ من فسرها بـ(لا معبود إلا الله) كالصوفية والإخوان والتبليغ، وغلط من فسرها بـ(لا خالق إلا الله)، وفسرها الزنداني في كتابه (التوحيد): أن تقتنع بأن لهذا الكون إلهًا خلقه.

ولمعرفة بطلان أو مقصود ذلك ارجع إلىٰ كتابنا: "الجهل المبين بمعنىٰ «لا إله إلا الله»".

فالذي يقول: لا اله إلا الله ويعبد القبور والأصنام لا تنفعه، بل هي باطلة.

وأما الشهادة الثانية وهي: أن محمدًا رسول الله؛ فدليلها قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام تعرفونه؛ لأنه من أنفسكم، وهو من أشرف قبائلكم من بني هاشم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي يشق عليه ما يشق عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [سورة التوبة:١٢٨] يعني: علىٰ هدايتكم، وإنقاذكم من النار.

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وبعد هذه الشهادة، علىٰ العبد أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدقه فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهىٰ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

فلا بد من هذه الأمور الأربعة:

الأول: طاعته فيما أمر من الصلاة والزكاة وغيرها.

الثاني: تصديقه فيما أخبر عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك.

الثالث: واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، كالزنا والربا وغير ذلك مما نهىٰ الله عنه ورسوله.

الرابع: وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فلا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١)، وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ»(٢) أي: هو مردود.

---

(١) (م ١٧١٨/ ١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢)(خ ٢٦٩٧)، (م ١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها أيضًا.

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [سورة التوبة:٥].

- ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٨٣] إلىٰ قوله سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

أي: أن الصيام واجب عليكم كل عام، في شهر رمضان.

****

- ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

- ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩٧] الآية.

وهو مرة في العمر؛ لقول النبي ﷺ: «الحج مرة فمن زاد فهو تطوع»(١).

****

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنه، ورجاله ثقات إلا سليمان بن كثير، فصدوق يخطئ عن الزهري. وقد توبع عند ابن ماجة (٢٨٨٦) وغيره، والحديث صححه الشيخان الألباني في السنن، والوادعي في الصحيح المسند (٦٦٩).

- الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ(١)؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ اللهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

- **الإيمان**: هو ما يتعلق بالقلوب، من التصديق بالله، وأنه رب العالمين، وأنه هو المستحق للعبادة، والتصديق بالملائكة وبالكتب وبالرسل وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره.

كل هذا يتعلق بالقلوب؛ فهو أصل من الأصول التي لا بد منها؛ فلا إسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام؛ فلا بد من هذا وهذا، لا بد من إسلام الجوارح، ولابد من إسلام القلوب وإيمانها.

ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم، وهكذا الرسول ﷺ ذكرهما جميعًا.

فالإسلام هو: الانقياد الظاهر بطاعة الله وترك معصيته.

والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها.

ويطلق الإسلام علىٰ الإيمان، ويطلق الإيمان علىٰ الإسلام؛ فإذا قيل الإيمان عم الجميع، وإذا

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «وأما الإيمان في الشرع فهو كما فسره أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية». (ص١٩٧).

قيل الإسلام عم الجميع، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران:١٩]. فيعم ما يتعلق بالباطن والظاهر.

وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح(١): «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذىٰ عن الطريق»، فالإيمان هنا يعم الجميع، فيعم أركان الإسلام، ويعم جميع الأعمال الظاهرة، كما يعم الباطنة. كما أنه يشمل الإحسان.

****

(١) (م٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في الصحيحين.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ - رُكْنٌ وَاحِدٌ -، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ الآية. وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [2] الآية.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ[3]، عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَـهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

---

(١) هذه الآية ليست في بعض المطبوع، وهي من المخطوطات الثلاث.

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وجه الاستدلال في قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية. [سورة يونس:٦١]، وشهود الله جل وعلا لما يعمل العباد من معاينة رؤيته فالله عز وجل يرىٰ أعمالكم علىٰ جميع تفصيلاتهم». (ص٥١).

(٣) (م ٨)، وقوله «جلوس» ليست في الحديث.

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

[قَالَ: صَدَقْتَ][(١)].

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم».

- أما الإحسان فهو: إكمال العبادة ظاهرًا وباطنًا[(٢)]، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فمن عبد الله علىٰ هذا الاستحضار فقد أدرك مرتبة الإحسان، واجتمع له الخير كله، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل:١٢٨]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٦]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

---

(١) هذه الزيادة ليست في مسلم.

(٢) أما الظاهر فهو المتابعة بحيث يكون العمل موافقًا للكتاب والسنة كما دل عليه قوله ﷺ: «كأنك تراه»، والباطن هو: الإخلاص لله تعالىٰ كما دل عليه بقية الحديث؛ فالإحسان: هو الاخلاص والمتابعة.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم(١)

- وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ(٢).

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

ش: هذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، فعلىٰ الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، وبين له الشرائع التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها.

هذا النبي هو محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء، ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس.

أرسله الله للناس جميعًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

فاسمه محمد، واسمه أحمد، واسمه الحاشر، والماحي، والمقفي؛ لأنه خاتم الأنبياء، وهو

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «المراد بالمعرفة هنا: العلم به، وبحاله، ونسبه، وعمره، ونبوته؛ فحقيقة هذا الفصل العلم ببعض سيرته ﷺ، وهذا العلم يتعين؛ لتكون الشهادة بـ(أن محمدًا رسول الله) عن علم ومعرفة». (ص٥٢).

(٢) ونسبه كما ذكره البخاري رحمه الله تعالىٰ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

نبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة(١).

هذه كلها أسماؤه عليه الصلاة والسلام.

لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها: (محمد) الذي سماه به أهله، وجاء به القرآن قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وهكذا (أحمد) كما بشر به عيسىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف:٦].

فهو محمد، وأبوه عبد الله، وجده اسمه عبد المطلب، وعبد المطلب لقب، وإلا فاسمه شيبة، وأبو جده اسمه هاشم، وهو سيد من سادات قريش، كما أن عبد المطلب كذلك، وهاشم من قريش قبيلة عظيمة، وهي أفضل العرب.

والنبي ﷺ من خاصتهم من بني هاشم، وهم أفضل قريش، واسمه فهر بن مالك، وقيل: قريش هو النضر بن كنانة جد فهر بن مالك، وقريش من العرب المستعربة التي استعرب لسانها فصار لها لسان عربي واضح.

فهي أكثر عروبة من قحطان، ولهذا يقال لهم: العرب العاربة والعرب المستعربة، وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

❊❊❊❊

(١) ومن أسمائه أيضًا: العاقب، الرسول، النبي، الصادق، الأمين، القاسم، وغيرها.

- نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بالْمُدَّثِّرْ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ(١).

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

- وهذا النبي العظيم وهو محمد ﷺ نبئ بـ (اقرأ)، فأول ما نزل عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١]، وصار بها نبيًا.

وقد أتاه جبريل وهو في الغار - غار حراء - فأقرأه هذه السورة(٢).

ثم بعد مدة يسيرة جاءه بالمدثر(٣)، فصار رسولًا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [سورة المدثر:١-٢].

والمدثر: الملتحف؛ لأنه بعد ما جاءه الوحي، اشتد عليه الأمر، وقال: «زملوني زملوني ... دثروني دثروني» من شدة ما أصابه من الخوف لما ضغط عليه جبرائيل عليه الصلاة السلام مرات.

---

(١) لآية تشمل جميع أنواع الطهارة، وسيأتي توجيه الشيخ بقوله (طهر أعمالك من الشرك؛ لأن تطهير الملابس غير مراد في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]؛ فالعمل يسمىٰ لباسًا)، هذا حتىٰ لا تتوهم أنه بعيد المعنىٰ.

(٢) (خ٧)، (م ١٧٧٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) (خ٤)، (م١٦١) عن جابر رضي الله عنه.

ثم قال: اقرأ؛ تمهيدًا لأعباء الرسالة وعظمتها.

ثم قال الله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: قم فأنذر الناس، فصار رسولاً بأمره بالنذراة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك من الشرك؛ لأن تطهير الملابس غير مراد في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]؛ فالعمل يسمىٰ لباسًا.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فالرجز: الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

****

- أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ(١).

- أخذ علىٰ هذا الأمر عشر سنين، يدعو إلىٰ التوحيد، ويحذر من الشرك، ويأمر بخلع عبادة ما سوىٰ الله سبحانه، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ويأمرهم أن يخصوا الله بالعبادة في دعائهم ونذرهم وذبائحهم وغير ذلك.

ثم بعد العشر عرج به ﷺ إلىٰ السماء مع جبرائيل وفتحت له السموات إلىٰ موضع رفيع فوق السماء السابعة، حتىٰ سمع فيه صريف الأقلام، ثم ناداه الله جل وعلا وكلمه وفرض عليه الصلوات الخمس، فرضها خمسين صلاة ثم لم يزل يطلبه التخفيف حتىٰ جعلها الله خمسًا.

فقال الله سبحانه: هي خمس في العدد، وهي خمسون في أم الكتاب(٢)؛ فمن حافظ علىٰ الصلوات الخمس وأداها، كتب الله له أجر خمسين، فالحسنة بعشر أمثالها.

فنزل بذلك عليه الصلاة والسلام، فاستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، صلاها في مكة ثلاث سنين قبل أن يهاجر.

---

(١) وكانت الصلاة مشروعة قبل المعراج بدلالة الحديث نفسه وفيه (فصلىٰ بالأنبياء ركعتين) ببيت المقدس قبل العروج، ولأدلة أخرىٰ، لكن تحديد الصلوات الخمس وأحكامها كان بعد المعراج.

(٢) حديث الإسراء (خ٧٥١٧)، (م١٩٢) عن أنس رضي الله عنه، وجاء عن جماعة من الصحابة، ولا دليل علىٰ من حدده بسنة معينة، أو بشهر معين.

- وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ(١).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله تعالىٰ(٢): «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»(٣).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٤).

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «فهي واجبة علىٰ كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فلا يتم إسلامه إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». (ص٩٧).

(٢) في تفسيره عند هذه الآية، والبغوي هو: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، وتفسيره مسمىٰ: (معالم التنزيل).

(٣) (خ٤٥٩٦/ ٧٠٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد (٤ / ٦٤) وغيره عن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه، وصححه الشيخان. الجامع الصحيح (٣/ ١٩١).

- ثم هاجر إلىٰ المدينة بعد ما اشتد عليه أذىٰ قريش له ولأصحابه، فأذن الله له بالهجرة من مكة؛ لأجل أذىٰ وظلم قريش، إلىٰ المدينة إلىٰ الأنصار، وقد بايعوه في موسم الحج علىٰ أن ينتقل إليهم وينصروه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فلما تمت البيعة وأذن الله له بالهجرة هاجر إليهم.

وكان بعض أصحابه قد هاجر قبل ذلك إلىٰ الحبشة، ومكثوا عند النجاشي مدة، ثم هاجر بقيتهم إلىٰ المدينة، فلما استقر بالمدينة جاء الذين في الحبشة إلىٰ المدينة، واستقر الجميع في المدينة، والحمد لله!.

****

- فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

- فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام؛ من الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولىٰ للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من رحمه الله , أن أجل هذه الواجبات إلىٰ أن هاجر إلىٰ المدينة.

وكان أصل الزكاة مشروعًا في مكة، كما قال تعالىٰ في سورة الأنعام - وهي مكية -: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها، كل هذا صار في المدينة.

وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة.

وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة وأنزل الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران:٩٧]، في سورة آل عمران وهي مدنية.

وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عمن كف عنه، ثم أمر بأن يبدأهم بالقتال، وأن يجاهد الكفار وإن لم يبدأوا، فيدعوهم إلىٰ الله يرشدهم إليه، فإن أجابوا وإلا قاتلهم؛ حتىٰ يستجيبوا للحق إلا أهل الكتاب فإنه يقبل منهم الجزية.

وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب، إما إسلام وإما جزية.

وأما بقية الكفرة إما الإسلام، وإما السيف مع القدرة.

****

- أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وَأَكْمَلَ اللهُ لهُ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

- وبعد ما أكمل الله به الدين توفاه الله إليه بعد عشر سنين من الهجرة قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٠-٣١].

****

- وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

- والناس إذا ماتوا يبعثون، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [سورة نوح:١٧-١٨].

وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن:٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣١].

فهم محاسبون ومجزيون يوم القيامة[٢]، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم؛ فالسعيد يعطىٰ يعطىٰ كتابه بيمينه، والشقي يعطىٰ كتابه بشماله، السعيد يرجح ميزانه والكافر يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي علىٰ خطر فقد يرجح ميزانهم بالتوبة، أو بعفو الله، أو بالحسنات، وقد يخف

---

(١) قال الشيخ صالح حفظه الله تعالى: «نص الشيخ علىٰ هذه المسألة؛ لأن كثيرًا من أهل البادية في عصره عصره كانوا ينكرون البعث». (ص٥٨). وفي هذا نظر، والله أعلم.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وقد أبدىٰ الله، وأعاد في إثبات المعاد حتىٰ يؤمن الناس بذلك بذلك ويزدادوا إيمانًا ويعملوا لهذا اليوم العظيم». (ص١٠٨).

ميزانهم فيكونوا من أهل النار، فيعذبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم الله من النار بسبب موتهم علىٰ الإسلام.

فالواجب علىٰ كل مكلف أن يحذر سيئات العمل، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متىٰ يهجم عليه الأجل.

فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة، ويجاهد نفسه حتىٰ يستقيم علىٰ الحق، والتوبة النصوح من جميع الذنوب، حتىٰ إذا هجم عليه الأجل إذا هو علىٰ خير عمل وعلىٰ استقامة فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة.

****

- وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

- والرسول ﷺ مرسل إلىٰ جميع الناس إلىٰ الجن والإنس، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي.

وهكذا الرسل جميعًا أرسلوا إلىٰ أممهم مبشرين ومنذرين، من أولهم إلىٰ آخرهم، فأولهم نوح بعثه الله لما وقع الشرك في قومه.

وقبله آدم فإنه نبي رسول مكلَّف، أرسله الله إلىٰ ذريته؛ ليعبدوا الله بالشريعة التي جاء بها أبوهم آدم عليه الصلاة والسلام، واستمروا علىٰ الإسلام والاستقامة، حتىٰ وقع الشرك في قوم نوح(١)، فلما وقع الشرك في قوم نوح، أرسل الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام، وهو أول الرسل إلىٰ أهل الأرض بعد وقوع الشرك.

وكل أمة بعث الله إليهم رسولًا:

---

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «من الثابت في الشرع أن الناس منذ أول عهدهم كانوا أمة واحدة واحدة علىٰ التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك، والأصل في هذا قول الله تعالىٰ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢١٣].

وفيه رد علىٰ الفلاسفة الملاحدة الذين يزعمون أن الأصل في الإنسان الشرك، وأن التوحيد طارئ، ويُبطل هذا الآيةُ السابقةُ وحديثان صحيحان:

الأول: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانًا». تحذير الساجد (ص١٣٥ - ١٣٦).

فعاد أرسل الله إليهم هودًا، ثم أرسل الله صالحًا إلىٰ قومه ثمود، ثم أرسل إبراهيم ولوطًا وشعيبًا في زمان متقارب، ثم جاءت الرسل بعد ذلك تترىٰ، ففيهم موسىٰ وهارون وعيسىٰ وأيوب وداود وسليمان، ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

❊❊❊❊

- وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾.

- ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام(١)، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام، قال الله جل وعلا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء:١٦٥].

فقوله: ﴿مُّبَشِّرِينَ ﴾ يعني: يبشرون من أطاعهم بالجنة.

﴿وَمُنذِرِينَ ﴾: يعني ينذرون الناس من الشرك بالله، ومن النار والعذاب الأليم، إذا خالفوا أمر الله.

وهكذا محمد ﷺ أرسله الله بشيراً ونذيراً، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

فالواجب علىٰ جميع الأمم اتباع رسلهم؛ فكل أمة يجب عليها أن تتبع رسولها، وتنقاد لما جاء به من الهدىٰ، وقد وعدها الله علىٰ ذلك السعادة في الدنيا والآخرة، وأكثر الخلق قد عصوا رسلهم وخالفوا ما جاءت به الرسل قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يوسف:١٠٣].

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، فلا نبي بعده، ومن ادعىٰ ادعىٰ النبوة فهو كافر مرتد عن الإسلام». (ص١١٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:٢٠].

****

- وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا - مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾.

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالىٰ: «مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»(١).

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لا إله إلا الله(٢).

- وكل رسول يدعو أمته إلىٰ توحيد الله، وطاعته، وترك الشرك به ومعصيته، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل:٣٦]. ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: أطيعوه ووحدوه واستقيموا علىٰ دينه، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

والطاغوت هو: كل ما عبد من دون الله وهو راض، وكل من حكم بغير ما أنزل الله أو دعا ذلك.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع: غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا بطواغيت». (ص١١٣). كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠١]..

(٢) أي: الكفر بالطاغوت.

والطاغوت هو: الذي يتجاوز الحد إما بشركه وكفره، وإما بدعوته إلىٰ ذلك، وشرهم ورأسهم إبليس لعنه الله.

وهكذا كل من دعا إلىٰ عبادة نفسه(١)، أو رضي أن يعبد من دون الله، كفرعون والنمرود، أو ادعىٰ شيئًا من علم الغيب(٢)، كالكهنة والعرافين والسحرة في الجاهلية وفي الإسلام، وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله متعمداً، فهؤلاء رؤوس الطواغيت.

وكل من جاوز الحد، وخرج عن طاعته الله، يسمىٰ طاغوت. قال تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ . فالرشد: الإسلام وما جاء به النبي ﷺ.

والغي: الكفر بالله والضلال.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

فـ﴿يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني: يتبرأ منه، ويعتقد بطلانه، فيتبرأ من الشرك.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعني: يصدق أن الله معبوده، وإلهه الحق، ويؤمن بالشريعة وبمحمد عليه الصلاة والسلام وينقاد لذلك. هذا هو المؤمن.

ثم قال: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ يعني: استعصم.

---

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: « مثل غلاة الصوفية الذين يدعون الناس إلىٰ عبادتهم، حتىٰ إنهم يوصون الناس أن يعبدوهم بعد موتهم؛ فيقول: إذا أعيتكم الأمور فأتوا إلىٰ قبري ...» (ص٣٠٢) .

وقال: «مثال ذلك مشايخ الطرق الصوفية يتبعهم مريدوهم وعبيدهم في غير طاعة الرسول ﷺ ... لا شك أن هؤلاء هم رؤوس الطواغيت، والعياذ بالله». (ص٢٩٧).

(٢) كالسحرة والمنجمين والكهنة والرمالين وكل من ادعىٰ علم الغيب. شرح الفوزان (ص٣٠٣) .

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وهي: لا إله إلا الله كلمة التوحيد. يعني: فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها، بل من استمسك بها صادقًا، واستقام عليها، وصل إلىٰ الجنة والكرامة، لأن لها حقوقًا، وهي توحيد الله، وطاعته واتباع شريعته.

ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو رسول الله إلىٰ جميع أهل الأرض، من الجن والإنس؛ فيجب علىٰ جميع المكلفين، طاعته واتباع شريعته، ولا يجوز لأحد الخروج عنها، وجميع الشرائع الماضية كلها نسخت بشريعته عليه الصلاة والسلام، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، الآية، وقال قبلها سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [سورة هود:١٧].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»، أخرجه مسلم في صحيحه(١).

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقد أجمع أهل العلم رحمهم الله علىٰ أنه لا يسع أحدًا من هذه الأمة الخروج علىٰ شريعة محمد ﷺ، وأن من اعتقد ذلك فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة(٢).

****

(١) (م١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما هو حال بعض غلاة الصوفية.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَاللهُ أَعْلَمُ.

ش: فعلىٰ جميع المكلفين أن يوحدوا الله، ويعبدوه دون كل ما سواه، وأن يكفروا بالطاغوت، وينكروا عبادته، ويلتزموا بالتوحيد، واتباع شريعته سبحانه وتعالىٰ، وتعظيم أمره ونهيه.

و«رأس الأمر» يعني: رأس الدين هو الإسلام.

يعني: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ محمداً رسول الله، فمن التزم بها دخل الإسلام.

«وعموده الصلاة» وهي الركن الثاني، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين.

ثم يلي ذلك الزكاة، والصيام، والحج، وبقية أوامر الله.

«وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»؛ لأن به صيانة الدين وحمايته، وبه دعوة الناس إلىٰ دين الله وإلزامهم بالحق.

فهو ذروة سنامه، من جهة ما تضمنه من حماية الدين، والدعوة إلىٰ الحق.

والله أعلم.

****

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ رضي الله عنه، وسنده منقطع بين أبي وائل ومعاذ لكن له شاهد عن عبادة عند الحاكم (٤/ ٢٨٦) وسنده صحيح.

تم ولله الحمد والمنة والثناء الحسن

دار الحديث بمعبر .

الفهرس

المتن.....٧
مقدمة الشرح ٢٠
الأصل الأول.....٣٩
الأصل الثاني.....٥٨
الأصل الثالث.....٦٨

****